يا صاحبَ القُبَّةِ البَيضاءِ

يا صاحبَ القُبَّةِ البَيضاءِ في النَّجَـــــفِ
مَن زارَ قَبرَكَ واسْتَشفى لَدَيكَ شُفِي
زوروا أَبا الحَسَنِ الهادي لَعَلَّكُـــــــمُ
تُحظَون بالأجرِ والإقبالِ والزُّلَفِ
زوروا لِمَن تُسْمَعُ النَّجوى لَديهِ فَمَنْ
يَزرهُ بالقَبرِ مَلهوفاً لَديهِ كُفِـــــــي
إذا وَصَلْ فَاحْرِمْ قَبْلَ تَدْخُلَهُ
مُلَبِّيـــــاً وإسْعَ سَعْياً حَولَهُ وطُـــــفِ
حَتَّى إذا طِفْـــــــتَ سَبْعاً حَولَ قُبَّتِهِ
تأَمَّـــلْ البابَ تَلْقى وَجْهَهُ فَقِـــــــفِ
وقُل سَلامٌ من الله الســـــــلامِ على
أَهـــلِ السلامِ وَأهلِ العلمِ والشـــرَفِ

السنة الثالثة/ العدد السابع ذو القعدة ١٤٤٦هـ – آيار ٢٠٢٥م

لَّةُ
بيضاء
فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٧)
السنة الثالثة ذو القعدة ١٤٤٦هـ آيار ٢٠٢٥م
تصدر عن دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف الشيعي

المشرف العام
علاء عبد الحسين جواد القسّام
مدير عام دائرة البحوث والدراسات

رئيس التحرير
أ . د . سامي حمود الحاج جاسم
التخصص/تاريخ إسلامي
الجامعة المستنصرية/ كلية التربية

مدير التحرير
حسين علي محمّد حسن
التخصص/لغة عربية وآدابها
دائرة البحوث والدراسات/ديوان الوقف الشيعي

هيأة التحرير
أ . د . علي عبد كنو
التخصص / علوم قرءان /تفسير
جامعة ديالى / كلية العلوم الإسلامية
أ . د . علي عطية شرقي
التخصص/ تاريخ إسلامي
جامعة بغداد/ كلية التربية ابن رشد
أ . م . د . عقيل عباس الريكان
التخصص/ علوم قرءان تفسير
الجامعة المستنصرية/ كلية التربية الأساسية
أ . م . د.أحمد عبد خضير
التخصص/ فلسفة
الجامعة المستنصرية / كلية الآداب
م.د. نوزاد صفر بخش
التخصص/ أصول الدين
جامعة بغداد/ كلية العلوم الإسلامية
أ.م . د . طارق عودة مري
التخصص/ تاريخ إسلامي
جامعة بغداد/ كلية العلوم الإسلامية

هيأة التحرير من خارج العراق
أ . د . مها خير بك ناصر
الجامعة اللبنانية / لبنان/لغة عربية..لغة
أ . د . محمّد خاقاني
جامعة اصفهان / إيران / لغة عربية..لغة
أ . د . خولة خمري
جامعة محمّد الشريف / الجزائر /حضارة وآديان..أديان
أ . د . نور الدين أبو لحية
جامعة باتنة / كلية العلوم الإسلامية / الجزائر
علوم قرءان/ تفسير

التدقيق اللغوي
أ . م . د . علي عبدالوهاب عباس
التخصص / اللغة والنحو
الجامعة المستنصرية/ كلية التربية الأساسية

الترجمة
أ . م . د . رافد سامي مجيد
التخصص/ لغة إنكليزية
جامعة الإمام الصادق(عليه السلام)كلية الآداب

مجلة القبة البيضاء

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية
العدد (٧) السنة الثالثة ذو القعدة ١٤٤٦هـ آيار ٢٠٢٥م
تصدر عن دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف الشيعي

العنوان الموقعي
مجلة القبة البيضاء
جمهورية العراق
بغداد /باب المعظم
مقابل وزارة الصحة
دائرة البحوث والدراسات
الاتصالات
مدير التحرير
٠٧٧٣٩١٨٣٧٦١
صندوق البريد / ٣٣٠٠١

الرقم المعياري الدولي
ISSN3005_5830
رقم الإيداع
في دار الكتب والوثائق(١١٢٧)
لسنة ٢٠٢٣

البريد الالكتروني
إيميل
off reserch@sed.gov.iq
hus65in@gmail.com

IRAQI
Academic Scientific Journals

الرقم المعياري الدولي
(3005-5830)

دليل المؤلف.....

١–إن يتسم البحث بالأصالة والجدة والقيمة العلمية والمعرفية الكبيرة وسلامة اللغة ودقة التوثيق.

٢– إن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على:

أ. عنوان البحث باللغة العربية .

ب . اسم الباحث باللغة العربية . ودرجته العلمية وشهادته.

ت . بريد الباحث الإلكتروني.

ث . ملخصان أحدهما باللغةِ العربية والآخر باللغةِ الإنكليزية.

ج . تدرج مفاتيح الكلمات باللغة العربية بعد الملخص العربي.

٣–أن يكونَ مطبوعًا على الحاسوب بنظام(office Word ٢٠٠٧ او ٢٠١٠) وعلى قرص ليزري مدمج (CD) على شكل ملف واحد فقط (أي لا يُجزَّأ البحث بأكثر من ملف على القرص) وتُزوَّد هيأة التحرير بثلاث نسخ ورقية وتوضع الرسوم أو الأشكال، إن وُجِدت، في مكانِها منَ البحثِ، على أن تكونَ صالحةً مِنَ الناحيةِ الفنيَّة للطباعة.

٤–أن لا يزيدَ عدد صفحات البحث على (٢٥) خمس وعشرين صفحة من الحجم (A٤).

٥. يلتزم الباحث في ترتيب وتنسيق المصادر على الصغية APA

٦–أن يلتزم الباحث بدفعِ أُجُور النشر المحدَّدة البالغة (٧٥،٠٠٠) خمسة وسبعين الف دينار عراقيّ، أو ما يعادلها بالعملات الأجنبية.

٧–أن يكونَ البحثُ خاليًا مِنَ الأخطاءِ اللغوية والنحوية والإملائيَّة.

٨–أن يلتزم الباحث بالخطوط وأحجامِها على النحو الآتي:

أ. اللغة العربية: نوع الخط (Arabic Simplified) وحجم الخط (١٤) للمتن.

ب . اللغة الإنكليزية: نوع الخط (Times New Roman) عناوين البحث (١٦). والملخصات (١٢). أما فقرات البحث الأخرى؛ فبحجم (١٤) .

٩–أن تكونَ هوامش البحثِ بالنظام التلقائي (تعليقات ختامية) في نهاية البحث. بحجم ١٢.

١٠–تكون مسافة الحواشي الجانبية (٢,٥٤) سم والمسافة بين الأسطر (١) .

١١–في حال استعمال برنامج مصحف المدينة للآيات القرآنية يتحمل الباحث ظهور هذه الآيات المباركة بالشكل الصحيح من عدمه، لذا يفضل النسخ من المصحف الالكتروني المتوافر على شبكة الانترنيت.

١٢–يبلَّغ الباحث بقرارِ صلاحيَّة النشر أو عدمها في مدَّةٍ لا تتجاوز شهرين من تاريخ وصولهِ إلى هيأةِ التحرير.

١٣–يلتزمُ الباحث بإجراءِ تعديلات المحكّمين على بحثهِ وفق التقارير المرسلة إليهِ وموافاةِ المجلة بنسخةٍ مُعدَّلةٍ في مدَّةٍ لا تتجاوزُ (١٥) خمسة عشر يومًا.

١٤–لا يحق للباحث المطالبة بمتطلبات البحث كافة بعد مرور سنة من تاريخ النشر.

١٥–لاتعاد البحوث الى أصحابها سواء قبلت أم لم تقبل.

١٦–دمج مصادر البحث وهوامشه في عنوان واحد يكون في نهاية البحث، مع كتابة معلومات المصدر عندما يرد لأول مرة.

١٧–يخضع البحث للتقويم السري من ثلاثة خبراء لبيان صلاحيته للنشر.

١٨–يشترط على طلبة الدراسات العليا فضلاً عن الشروط السابقة جلب ما يثبت موافقة الاستاذ المشرف على البحث وفق النموذج المعتمد في المجلة.

١٩–يحصل الباحث على مستل واحد لبحثه، ونسخة من المجلة، وإذا رغب في الحصول على نسخة أخرى فعليه شراؤها بسعر (١٥) الف دينار.

٢٠–تعبر الأبحاث المنشورة في المجلة عن آراء أصحابها لا عن رأي المجلة.

٢١–ترسل البحوث على العنوان الآتي: (بغداد – شارع فلسطين المركز الوطني لعلوم القرآن)

أو البريد الألكترونيّ: (hus٦٥in@Gmail.com) بعد دفع الأجور في الحساب المصرفي العائد إلى الدائرة.

٢٢–لا تلتزمُ المجلة بنشر البحوث التي تُخلُّ بشرطٍ من هذهِ الشروط .

مجلة انسانية اجتماعية فصلية تصدر عن
دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف الشيعي

محتوى العدد (٧) ذو العقدة ١٤٤٦هـ آيار ٢٠٢٥م المجلد الأول

ت	عنوانات البحوث	اسم الباحث	ص
١	حكم حضور المرأة للجنائز في الشريعة الإسلامية	أ.د.خالد محمد جاسم	٨
٢	علم الجينوم بين العلم الحديث وعلم الكلام	أ.م.د. أحمد عبدالوهاب عبدالرزاق	١٦
٣	An Analysis of Selected Social Media Posts by Joe Biden on the Ukraine War: A Stylistic Study	Asst. Prof. Dr. Hassan Abdul-Jabbar Naji	٣٠
٤	نظريات الأصوليين في طرق جعل الأمارات والأحكام الظاهرية وآثارها في علم الأصول	أ.م.د.عصام وهاب مطلب النفاخ	٤٨
٥	فاعلية استراتيجية(P.E.C.S) في اكتساب المفاهيم النحوية و تنمية الدافعية العقلية لدى طلاب الصّف الثاني المتوسط	أ.م. د. مصطفى سوادي جاسم	٦٠
٦	تفسير سورة ألم نشرح لك زين العابدين بن أبي العباس المرزوقي كان حيا (١٠٦٠هـ)دراسة وتحقيق	م.د.حامد حسين مطر	٨٠
٧	التجريم القانوني لجرائم المخدرات والمؤثرات العقلية	م.د.عذراء ياسر عبيد	٩٤
٨	دور الامم المتحدة في الترويج للمثلية الجنسية في الدول الإسلامية	م.د. حسن ساجت هداب	١٠٨
٩	أثر العناصر اللغوية وغير اللغوية في توجيه دلالة الألفاظ القرآنية عند أهل البيت(عليهم السلام)	م. د. أحمد صابر راضي	١٢٢
١٠	أسباب تفشي ظاهرة الدروس الخصوصية في مادة الرياضيات من وجهه نظر المدرسين	م.د. هاله عدنان كاظم	١٤٦
١١	حماية الاعيان المدنية في النزاعات الدولية	م.د .مهدي صالح مهدي حسن	١٥٨
١٢	مفهوم الغاية عند الإمامية «دراسة أصولية»	م.د. خضر عبد الباقي خضر	١٧٠
١٣	تأثير الشغف والإبداع في ريادة الأعمال على اتخاذ القرارات الريادية	م.د. أحمد عبد الحسن دحام	١٨٠
١٤	سياسة الصين تجاه مسلمي شينجيانغ الايغور أنموذجاً	م.د.لقاء شاكر الشريفي	٢٠٢
١٥	مظاهر البداوة في شعر زهير بن أبي سلمى	م. د. محمد إبراهيم أحمد	٢١٦
١٦	مُعتَصِمُ السيدُ أحمد، وقراءتُهُ المُتعسفةُ للفلسفةِ الإسلامية مَبحَثُ الوجودِ أنموذَجاً	م. د. عقيل رحيم الساعدي	٢٢٨
١٧	الشخوص المقدسة في المنظور المسيحي «نماذج مختارة»	م.م. اخلاص جعفر محمد أ.د. حازم عدنان أحمد	٢٤٤
١٨	نظرة قرآنية حول مفهوم الموت	م.م طه ياسين معارج	٢٥٨
١٩	مدى مسؤولية الولايات المتحدة عن احتلال العراق.!	م. م عبد الكريم فهد الدليمي	٢٧٠
٢٠	مواقف أبي حيّان الأندلسيّ (٧٤٥هـ) من آراء سيبويه والأخفش الأوسط النحوية في كتابه الموفور من شرح ابن عصفور	م. م. على عبد الكريم عبد القادر	٢٨٦
٢١	آراء المستشرقين في القراءات القرآنية	م.م. ساجدة تركي عيدان	٣٠٠

مظاهر البداوة في شعر زهير بن أبي سلمى

م. د. محمد إبراهيم أحمد
جامعة سامراء / كلية التربية / قسم اللغة العربية

المستخلص:
مما لا شكَّ فيه أن الشعر الجاهلي كان مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً ببيئة الجزيرة العربية وبكل تفصيلاتها ، وأن الشعراء تحدثوا عن تلك البيئة بما له تعلّق بحياتهم وصورها تصويراً دقيقاً ، وهذا ما يمكن فهمه ولمسه من خلال مطالعة دواوين الشعراء الجاهليين ، فكانت تعبيراتهم ليست مجرد لمحة عابرة ، أو فكرة طارئة ابتنت في عقولهم ؛ إنما كانت أبياتهم تحاكي الحياة اليومية ، والتي اشتملت على أدق الجوانب في تلك الصحاري والبقاع التي وطنتها قبائل الشعراء.
وبما أن حياة العربي كانت تمثل صورة لبيئة البادية منذ أن وجد المجتمع العربي وعلاقته الراسخة بمنبته ليستنبط خصائص حياته منها ، فكانت تلك الطبيعة مصدراً مؤثراً فيهم وفي حياتهم وصورهم ، فجاءت الصور الشعرية التي شكَّلها الشعراء بينة واضحة لما عاشوه في تلك الأرض ، ومن بين مَنْ أنجبته الساحة العربية شاعرنا الكبير زهير بن أبي سلمى الذي ارتسمت صوراً بدوية في شعره ، لذا ستقدم هذه الدراسة التي أخذت مساراً لها بعنوان (مظاهر البداوة في شعر زهير بن أبي سلمى) لتعطي صورة لتلك المظاهر من خلال قراءة أبياته وتحليل هذه الظاهرة لإبراز فنيتها وأهميتها .

الكلمات المفتاحية : زهير بن أبي سلمى ، المظاهر البدوية في شعره .

Abstract : .

There is no doubt that pre-Islamic poetry was closely linked to the environment of the Arabian Peninsula and its every detail. Poets depicted this environment in relation to their lives, portraying it with great precision. This can be understood and observed by reviewing the collections of pre-Islamic poets. Their expressions were not merely fleeting glimpses or random ideas that occurred to them; rather, their verses reflected daily life, covering even the most intricate aspects of the deserts and lands inhabited by the tribes of these poets .

Since the life of the Arab represented an image of the Bedouin environment, from the moment the Arab society emerged and its deep connection to its origin, it derived the characteristics of its life from that environment. Nature was thus an influential source in shaping their lives, images, and poetry. The poetic images created by the poets clearly reflect what they experienced in that land. Among the poets of this tradition was the great Zuhayr ibn Abi Sulma, whose poetry vividly depicted Bedouin life. This study, titled The Manifestations of Bedouin Life in the Poetry of Zuhayr ibn Abi Sulma, aims to present these. manifestations by reading his verses and analyzing this phenomenon to highlight its artistry and significance.

Keywords: Zuhayr ibn Abi Sulma, Bedouin Manifestations in His Poetry

المقدمة :

البداوة عادات وتقاليد :

إن العادات والتقاليد التي ولِدَت في رحم الصحراء أنجبت مآثراً عظيمةً ، توشح بها عظماء خلّد التأريخ فعالهم ، ومن تلك الفضائل التي اعتز بها العربي لتغدو مضرباً للأمثال السخاء والكرم والتي لطالما عدَّت من السمات العليا للمجتمع العربي ومن أقوال العرب المأثورة في الرجال « أسخى من حاتم » (بن عبد ربه، ١٩٨٣م ،٣ / ٩) وهذا الأمر يعكس بطبيعته حياة العربي في جزيرته الصحراوية ، التي طبعت في نفسيته تقلباتها المتنوعة ، فنجد فيه المروءة والإيثار والرأفة والرحمة وإكرام الضيف وحماية الجار وغيرها من الصفات الحميدة التي تناقلتها الأجيال جيلاً بعد جيل ، ولذلك فقد جاء في الأثر أن الرسول الأعظم محمد ( ) قال : «إنّما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق » (البيهقي ،١٩٩٢ م،١٠/١٩٢) ، فقد كانت العرب أمة فيها عظمة الخلق ، ومن جانب آخر نجد عند بعض من تصدى لدراسة أحوال العرب سابقاً ما يؤيد أن العرب كانت امة لها تأريخ عريق ، أثبتته ما تناقلته الأفواه من لغتها التي عدّت من أسمى لغات العالم في طريقة تركيبها وتأليفها ، لذا نجد ما نظموه (شعراً ونثراً) قد علق في الأذهان واستحبته القلوب من أقوال وصفوا بها نتاجهم حياتهم التي تدل على أن المدنية لم تكن طارئة على حياتهم ، بل كانت تمتد عمق امتداد تأريخهم) زيدان،١/٢٤ ، ٢٥) ، ولم يقف الأمر عند سجاياهم وخلالهم الحميدة ، بل جاء عن العرب تقدمهم في مجال العلوم ، إذ يرى أحمد حسن الزيات أن للعرب صفات أكسبتهم السبق في مجالات العلم فعرفوا « الطب والبيطرة والخيل لاتصالها بالحرب، ولاحظوا الأنواء والنجوم والرياح لعلاقتها بالكلأ والغيث ، وليهتدوا بها في ظلمات البر والبحر ، وبرعوا في الأنساب والأخبار والأشعار « (الزيات،ص١١) ، والحديث عن تلك المآثر التي امتازت بها أمة العرب أضحت قيمة يؤسس العربي عليها مناهجاً لحياة قويمة ، وسلوك راقٍ ينظم سيرته ، وأيّ خلل فيها يخرج المرء من دائرة السيرة الحسنة ، ولذلك نقرأ لزهير رسمه جملة من الأخلاق فيقول من الطويل (بن أبي سلمى، ١٩٨٠م ، ص٢٩،٢٨،٢٧):

ومن يعص أطـرف الزجاج ، فأنه ... يطيع العوالي ركبت كل لهـذم
ومن يوف لا يذمم ومن يفض قلبه ... إلى مطمئن البر لا يتجمـجم
ومن هاب أسـباب المنايا ينلنه ... ولو رام أسـباب السماء بسـلم
ومن يك ذا فضل , فيبخل بفضله ... على قـومه يستغن عنه ويذمم
ومن لا يزل يسترحل الناس نفسه ... ولا يعفها يوما من الـذل ينـدم
ومن يغترب يحسب عـدوا صديقه ... ومن لا يكـرم نفسه لا يكـرم
ومن لا يـذد عن حوضه بسلاحه ... يهدم ومن لا يظلـم الناس يظلم
ومن لم يصانـع فـي أمـور كثيرة ... يضرس بأنيـاب ويوطـأ بمنسـم
ومن يجعل المعروف من دون عرضه ...يفره , ومن لا يتـق الشتم يشتم
ومن يجعل المعروف في غير أهله ... يكـن حمده ذمـا عليه ويندم
ومهما تكن عند امـرئ من خليقة ... وإن خالها تخفى على الناس تعلم
وكائن تـرى من صامت لك معجب ...زيادته أو نقصه فـي التكلـم
لسان الفتى نصف ونصف فـؤاده ... فلم يبـق إلا صـورة اللحم والدم

من قراءة اللوحة هذه نجد أن قيماً عاشت في قلب الشاعر ، الذي هو صورة لمجتمعه وهذه القيم نبتت جذورها في رمال الصحراء ، فتواجهنا تلك القيم التي تدور ضمن مفهوم القيم والسلوكيات التي تحث على البدوي الالتزام بها ، ومنها التسلح برباط الشجاعة في مواجهة الاعداء بسلاحه الذي لا ينثلم ، وأن الأمر الصغير يولد منه الأمر الكبير ، لذا عليه أن يبادر بقلب لا يهاب ولا يستكين ، وإلا أُقبِل عليه وأُخِذ ، وعلى المرء أن يعش بين أبناء

جلدته لأنه لو تغرَّب أشكل عليه عدوَّه من صديقه ، فالمحاباة تأتي بقساوة العيش وذلها ، نجد الحكمة التي عرف بها زهير وأنها طريق ممهد ليسلكه الناس ، وهو يرشدهم بتجربة نوعية فريدة ، فالطبيعة التي ينشأ فيها الإنسان يتأثر بما يحيط به من مؤثرات بيئية ، فتنتج صورة حسية تعبر عن مكنوناته وانفعالاته وتجاربه ، لذلك يحاول الشاعر وهو صاحب حس مرهف وبصيرة فنية حاضرة أن يأتلف مع البيئة التي هي من أعمال الطبيعة ، فإذا عجز الفنان أو الشاعر أن يوفق بين عمله وعمل الطبيعة ، ويؤلف بين روحه وروح البيئة ، فاتته الصبغة المحلية التي تعد شرطاً جوهرياً لصدق الأسلوب وسلامة الصورة الشعرية (محمد، ٢٠١١ م، ص٢٥٠) وهذه سمة عرفت على أغلب الشعر الجاهلي بصدق التجربة الشعورية .

المظاهر البدوية في شعر زهير :

عبير الشعر الجاهلي يحمل الكثير من الأفكار والمظاهر البدوية ؛ كونه ترعرع في ظل بيئة أسهمت في رفد الشعراء بمعانٍ متنوعة ، والذين وصفوا بيئتهم بما حملته من صور وعادات وقيم ومثل أثرت فيهم طبعاً وقولاً ، وكانت لتلك البيئة الصحراوية سمتها الخاصة والتي هي صامتة في أصل وجودها ، إلا أن الإنسان جعلها تتكلم وتتحرك ، فصيرها كائناً يتحسس ما حوله ، أسهم في أن يبدع شعراؤنا في تشكيل صور بديعة ومعان لطيفة ؛ لأنه عاش بين أحضانها وليداً ونما حتى غدت متلازمة في حديثه ، متلونة بألطف التعابير وأبدع التصاوير ، ومن أولى تلك الصور التي بدأوا بذكرها وصف الديار والطلول ، وهذه السمة الفنية أكد عليها ابن قتيبة بقوله « وسمعت بعض أهل الأدب يذكر أنَّ مقصد القصيد إنما ابتدأ فيها بذكر الديار والدمن والآثار » (ابن قتيبة،١٩٨٧م، ص٣١) ، كما وأنها من أولى الأوصاف التي واجهها العربي ، لأنها تنبع من وجدان الشاعر واقعاً ملموساً ، استثارته عواطفه ومشاعره ، وزهير الذي هو أحد الأربعة المقدّمين في الشعر الجاهلي من الطبقة الجاهلية الأولى (الجمحي،١٩٨٠م، ص٤٩ وما بعدها) الذي حمل هذه السمة القولية كقوله من الطويل (بن أبي سلمى، ١٩٨٠م ، ص١٧٧) :

غَشِيتُ دِيَاراً بِالنَّقِيعِ فَثَهْمَدِ دَوَارِسَ قَدْ أَقْوَيْنَ مِنْ أُمِّ مَعْبَدِ
أَرَبَّتْ بِهَا الْأَرْوَاحُ كُلَّ عَشِيَّةٍ فَلَمْ يَبقَ إِلَّا آلُ خَيْمٍ مُنَضَّدِ
وَغَيْرُ ثَلَاثٍ كَالْحَمَامِ خَوَالِدٍ وَهَابٍ مُجِيلٍ هَامِدٍ مُتَلَبِّدِ

يضعنا الشاعر أمام مشهد الأطلال الدارسة وهو يطالعها كيف تبدلت وتغيرت تلك الديار أول حديثه استعمل الفعل (غشيت) (ابن منظور، ١٩٩٩ م،١٠/٧٦) وهو بمعنى غطى ، وله دلالة ترمز إلى الهول والأمر العظيم ، فكانت تلك الديار أنسية بسكانها ، لكنها غدت حزينة ؛ لأنها خلت وأقفرت من أهلها ، وبعد انتقالهم عنها باتت غير أنيسة ، ولعبت الرياح بها فتركت غبار الزمن يكتب سطوره عليها ، فالشاعر يرسم صورة حزينة تعبر عن مسيرة حياتية وكأنها مسيرة الكون التي تبدأ فتية لتهرم ويذهب نظارة الشباب ، يشير الشاعر إلى أن هذه الديار بقت خالية إلا من بقية الخيام والأثافي والخوالد ، وجمال الصورة في هذه الأبيات تكمن في لإيراد صورة لونية ممزوجة بين أثافي القدور وبين لون الحمام السود التي تضرب إلى الغبرة وهو لون الرماد وهو غبرة فيها كدرة (إبراهيم ،١٩٨٩م،ص١٠٦) وهذه الممازجة اللونية تشي بصورة نابضة قادرة على توليد فكرة عن أيقونة البداوة بتشكيل حيّ ماثل أمام المطلع لهذه النصوص ، وتضعف الروح فتتغير معالم الفرح إلى لحظات أليمة لم يبق منها إلى الذكريات العالقة في الذاكرة .

ولا تزال تلك مفردة الأطلال حاضرة بقوة في ذهن الشاعر ، التي ارتسمت بشكل ميَّز تلك السمة في القصيدة الجاهلية أكثر من مثيلاتها في العصور المتوالية حتى غدت علامة فارقة ، وأنها أول ما يبدأ الشاعر حديثه عنها ، فذكر الديار كان من أهم البنى للقصيدة ، فتكون تعبيراً عن عاطفتهم تجاه تلك البقاع التي وطنتها قبائلهم ، فتظهر فيها شدة الحزن والشوق والحنين إليها ، ومدى اعتزازهم بترابها ، فكانت تلك صورة معبرة عن طبيعة البيئة

لذلك العصر ، وكانت الديار تمثل رمزية الأمل المفقود من العودة بالزمن إلى سالف الأوقات المفرحة ، لكن من غير جدوى من عودتها فقد طوى الزمن أوراقه ، وفي هذا الموقف تتشظى العواطف من داخله لتفجر تلك العلاقة الحميمية بينه وبين تلك الديار التي تختزن بها ذاكرته ، فأضحت أليمة لا حياة فيها سوى عبق الماضي الجميل والحاضر الحزين ، وسيبقى ذلك الوصال حاضراً ويسطِّر نغماته الزمن ويخلِّده التاريخ ، إذ يحرك مثل هذا الموقف شاعرنا زهير ليعبّر عن ذلك بقوله من البسيط (بن أبي سلمى،١٩٨٠م،ص١٠٠-١٠١) :

قِف بِالدِيارِ الَّتي لَم يَعفُها القِدَمُ بَلى وَغَيَّرَها الأَرواحُ وَالدِيَمُ
لا الدارُ غَيَّرَها بَعدي الأَنيسُ وَلا بِالدارِ لَو كَلَّمَت ذا حاجَةٍ صَمَمُ
دارٌ لِأَسماءَ بِالغَمرَينِ ماثِلَةٌ كَالوَحيِ لَيسَ بِها مِن أَهلِها أَرِمُ
وَقَد أَراها حَديثاً غَيرَ مُقوِيَةٍ السِرُّ مِنها فَوادي الحَفرِ فَالهِدَمُ
فَلا لُكانُ إِلى وادي الغِمارِ فَلا شَرقِيُّ سَلمى فَلا فَيدٌ فَلا رِهَمُ

تجتمع في هذا النص ثنائية تضادية بين (الهدم وخراب الديار) وبين بقاء صورتها (لا الدَّار غيرها بعدي الأنيسُ) فرؤية الشاعر لتلك الديار على الرغم من ترك أهلها وانتقالهم عنها ، والتي لا مفرَّ أن تذوي زهرة جمالها ، لكن بصيرة الشاعر تذهب إلى أبعد من باصرته فيراها عامرة لا تزال الحياة تُبَثُّ بين أرجاءها ، فاستطاع الشاعر أن يمزج بين موقفين (البعد والهدم / والبقاء والمثول) فتلك صورة مملوءة بقرارة الرؤية الثابتة أن التعلق بالديار أقوى آصرة من عنصر التحول والقفار والزوال بعد هجر الديار وما فعله الزمن بها .

وهذا التعلق بالأرض عند البدوي يحتَّم بطبيعة الأمر عليه أن يختار الأرض ملجأ يكون له عونٌ ، يشدُّ من أزره على تحمّل مصاعب تلك الأرض ووعورتها التي وُجِدَ عليها ، فكان الطقس والتغيرات الجوية عواملاً تظافرت في أخذهم نحو اختيارهم لمحل سكناهم ، ويتشكّل تفاعل بين عامل الزمن مع المكان والأنواء لذلك الاختيار للاستيطان ، فأين توافرت تلك العوامل أسهمت في وجود النفر من القبائل المتحولة من أرضهم التي أجدبت إلى مكان أينع بالخضرة ، فأخذوا يتسارعون بالخطى إليه لرعي إبلهم وحيواناتهم ، لا سيما في فصل الخريف الذي ينزل مطره فيكون عاملاً يوفر فرصة للعيش الأفضل ، وهذا ما وصفه زهير بقوله من البسيط (بن أبي سلمى، ١٩٨٠م، ص١٠٤)

فَاسْتَبْدَلَتْ بَعْدَنَا دَاراً يَمَانِيَةً تَرْعَى الحَرِيْفَ فَأَدْنَى دَارِهَا ظَلِمُ

فكان الجدب والقحط وجفاف الأرض وقلة مواردها من مياه ونباتات الأمر الذي حال دون بقائهم وتحولهم لمكان آخر رفدهم بما ييسر عليهم ديمومة العيش ، فهم يتبعون ما يعينهم على البقاء وينفرون الظروف التي تحاصرهم بقساوتها وشظفها .

إن التطواف في بيئة البدو والاستطلاع القائم على مفردات حياتهم المتنوعة ، يأخذنا إلى نظرة فيما يتعلق بتفاصيل جوانب تلك الحياة ، ولعل أهمها ما جاء معبراً عن نظرتهم وتعلقهم بالمكان الذي قضوا فيه أياماً جميلة ، وعاشوا لحظاتهم فيه ، ونسجوا خيوط ذكرياتهم بين حبات رماله ، حتى غدا ذلك المكان مرتبط بجزئيات أيامهم وهم يبدأون الحديث بذكر الديار ، فإن تعلقهم بالمكان نابع من أحاسيسهم ومشاعرهم ، فكان للمكان منزلة مرموقة في ذاكرتهم ، وحاضراً ينشدونه في أبياتهم الشعرية ، وهذا الأمر أخذ مساحة عند الدارسين العرب وغير العرب قديماً وحديثاً كونه شكّل ظاهرة مميزة أفردت لها الدراسات ، فابن قتيبة الذي عدَّ ذكر الديار من أهم موجبات القصيدة العربية وتم ذكر هذا الأمر (ابن قتيبة،١٩٨٧م، ص٣١) ، أما ابن رشيق القيرواني يرى ان ذكر الديار عند البدوي هو أول ما يبدأ به وأنها أوكد من ذكر ديار الحضري لأن العرب كانوا أصحاب خيام وينتقلون من موضع لآخر وديار الحضر أبقى وأدوم ، فلا تنسفها الرياح ولا تمحها إلا بمرور زمن طويل أو هجر أهلها لها (القيرواني ،١٩٨١م،١/٢٢٦)، على أن شكري فيصل يتحدث عن تلك الرؤية للطلل فيصفها بأنها وقفة

فيها فيض من المشاعر العاطفية بل يتعدى ذلك إلى أنه عاطفي إنساني كونه يعبر عن الجزء المشترك من عواطف الناس جميعاً ، وفي مشاعرهم صحة وأن دعوتهم للبكاء على الأطلال فيها شفاء نفوسهم ، وكانت تلك المشاعر هي محلية التعبير قدر ما هو شعر إنساني ، وهو قومي قدر ما هو عالمي ، وجماع هذه الأمور يتضح فيها صدق التجربة الشعورية (فيصل،١٩٥٩م،ص٦١، ٦٩) ، أما الدكتور محمود الجادر يجد في مطالع زهير أنها تجمع بين ثلاثة أشياء هي (المكان والزمن والتجربة) وشأنه في ذلك شأن فحول الشعراء الجاهليين في حرصهم على تلك المبادئ التي حرصوا على القول فيها (الجادر،١٩٧٩م،ص٧١) ، ونقف على ذكر تلك الديار والأماكن بقول زهير من الكامل (بن أبي سلمى، ١٩٨٠م، ص١١٥،١١٤) :

لِمَنِ الدِيارُ بِقُنَّةِ الحِجرِ أَقوَينَ مِن حِجَجٍ وَمِن شَهرِ
لَعِبَ الزَمانُ بِها وَغَيَّرَها بَعدي سَوافي المورِ وَالقَطرِ
فَقَراً بِمُندَفَعِ النَحائِتِ مِن ضَفوى أُلاتِ الضالِ وَالسِدرِ

إن الحديث عن هذا التصوير للأطلال نجد فيها صراعاً عند الشعراء أمام تقلبات الزمن وتحولاته وإن التغير الذي يصاب به المكان ، لكن هذا الاندثار يكون هو مدعاة لوجود امل جديد في إيجاد موطن جديد لتكتمل مسيرة الإنسان بهذا التحول على المكان الجديد .

ومن السمات الفاضلة التي يعتز بها العربي ، ويمتدحها الشعراء دائماً هي سمة الكرم ، فالكرم « اسم لخصال تضاد خصال اللؤم (المرزوقي، ١٩٦٧م، ص١١١) ، فلطالما تغنت به الشعراء على الرغم من أن موطنهم الصحراء ، والتي كانوا يرزحون تحت وطأتها ، ويتحملون شظف الحياة على رمالها ، وقلة موارد العيش ، فالأرض جدباء قاحلة ، والهواء حار يلفح وجوههم ، فكانت الأرض بتلك الصفات تفسح لهم المجال للتنقل بحثاً عن أبسط مطالب الحياة الداعية للاستقرار عند موضع الماء وتوفر العشب لأجل مواصلة العيش ، والكرم صفة عامة لا ترتبط ببذل المال فقط فهي كلمة تحمل معنى أوسع مدى ومضاد لمفهوم اللؤم ، فالجود الذي هو جزء من الكرم فهو ضد البخل (نعناع،١٩٩٤م، ص٣٣) ، فيصف شاعرنا زهير ذلك بقوله من البسيط (بن أبي سلمى، ١٩٨٠م ، ص١٠٥،١٠٤) :

إنَّ البخيلَ مَلُومٌ حيثُ كانَ ولـ ـكنَّ الجوادَ على عِلاَّتِهِ هَرِمُ
هوَ الجوادُ الذي يُعْطِيكَ نَائِلَهُ عَفْوًا ويُظْلَمُ أحيانًا فَيَظَّلِمُ
وإنْ أتاهُ خليلٌ يومَ مسألةٍ يقولُ: لا غائبٌ مالِي ولا حَرِمُ

ولك أن تنعم النظر فيما سلكه هذا الحكيم من دروس حياتية وتجربة فريدة في توجيه الناس إلى التخلق بما يكوّن ميزان الاعتدال للسلوك السليم ، وهذا الأمر ما يراه الزيات في مجمل حياة العرب إذ يرى أنه « لو ساغ لنا أن نحكم على العرب بمقتضى لغتهم وأدبهم لوجدنا لهم نفوساً كبيرة وأذهاناً بصيرة وحنكة خبيرة ومعارف واسعة كوَّنوا أكثرها من نتاج قرائحهم وثمار تجاربهم ؛ فإن لغتهم وهي صورة اجتماعهم لم تدع معنى من المعاني التي تتصل بالروح والفكر والجسم والجماعة والأرض والسماء إلا استوعبت اسماءه ورتبت أجزاءه « (الزَّيَّات، ص١٢) ، فكانت تلك سماتهم يعتزون بها ويسعون إلى ترسيخها في نفوس أولادهم لأنها من مكارم هذه الأمة وكما يقول الثعالبي رحمه الله : « والعرب خير الأمم ، والعربية خير اللغات والألسنة « (الثعالبي، ١٩٩٨م، ص٣) وما دامت أمة بتلك الصفات العليا لا بدّ لأبنائها أن يتجملوا بشمائل الفضيلة ومنها الكرم .

ومن الدلالات التي ارتبطت بمفهوم الكرم صورة النار التي كانت حاضرة في خلد الشاعر الجاهلي ، فقد ذكر الشعراء النار في أشعارهم وكانت لها دلالات متعددة ومتنوعة حسب استخدامها عندهم فقيل في فضيلتها « من أكبر ماعون الماء والنار ثم الكلأ والريح ومنافعها يطول حصرها ويصعب ذكرها « (الاصبهاني،٤/٦٢٣) ، وذكرها كان له حضور مميز ومن اسماء النار التي يرمز بها للكرم هي نار القرى أو ما كان يطلق عليها نار الضيافة

(الحمد،٢٠١٨م، ص٢٠) فكانت العرب تشعل النار ليهتدي بها الضيوف إلى دار الرجل الكريم، وقد أكثر الشعراء من ذكر هذه النار ، حتى أن من فضل إيقاد هذه النار أن حاتماً الطائي الذي عرف بأنه من أجواد العرب كان يصف غلامه الذي يسابق الآخرين بإيقاد النار بالعفة ويستحق الثناء ، وأنه إذا أوقد النار في ليلة باردة الريح فله الحرية من العبودية (الحوفي،ص٢٤٦) ، فكانت تلك النار – نار القرى – واحدة من أنواع النيران التي عرفت عند العرب ، والتي توقد للأضياف وقاطعي الصحاري للاهتداء إلى بيوتهم (العسكري،١٩٨٧م، ص٤٠) ، وبهذا المفهوم يرى زهيراً أن ممدوحه (هرم) بأنه مرهق النيران دلالة على كرمه فيقول فيه من الطويل (بن أبي سلمى،١٩٨٠م ، ص١١٨) :

حَـدِبٌ عَلَـى المَوْلَـى الضَّـرِيكِ إِذَا نَـابَتْ عَلَيْـهِ نَـوَائِبُ الدَّهْـرِ
وَمُرَهَّـقُ النِّيْـرَانِ يُحْمَـدُ فِـي الـ ـلأَوَاءِ غَيْـرُ مُلَعَّـنِ القِـدْرِ

فهذه صفة تلبس من يبدي كرمه أوقات الشدة والحاجة جلباب الفضل والسبق للمدح عن غيره وهذا الفعل الذي يقدم عليه ممدوح زهير فهو الذي يعين أبناء عمومته الذين أصابتهم الحاجة لم يتمهل أو يتعذر من مد يد العون لأهله وذويه .

وبما أن العرب عاشت في بادية اتصفت بتذبذب مواردها من قلة الماء وقلة موارد الرزق وسبل العيش الخاصة بها وأن يتكيف بظروفها القاسية بما يتناسب مع استمرارية حياته بقانونها الصارم فنشأ البدوي إما ظالماً أو مظلوماً قاتلاً أو مقتولاً (البياتي،١٩٧٢م، ص٧٦) ، ومن صفات البدوي في تلك البادية هي إظهار الشجاعة فالعربي جُبِلَ على تلك الصفة من إباء وشمم وفروسية وعزيمة وإقدام ، تجعل من نفسه توَّاقة إلى خوض الحروب والمعارك ؛ لكونها قريبة مألوفة محببة لديه ، وبما أنه عُرِفَ عن العرب بأنها كانت قبائل متنافرة متخاصمة ، وتحاول أن تقيم في مواقع الغيث ومنابت الكلأ ولو كان ذلك يتم لهم بقوة الرماح والسيوف (خفاجي،١٩٩٢م، ص٧٧) ، وبما أن الشاعر كما يصفه ابن رشيق القيرواني بأنه يشعر بما لا يشعر به غيره (القيرواني، ١٩٨١ م،١١٦/١) ، فإن حديثه عن الحرب ووصفها يأتي بأثر أقوى دلالة من حديث غيره ؛ لكون خيالاته لها بعداً ، ومساحة رؤيته أدقّ تفصيلاً ، وتصويره أبدع ، فهي كما يصفها زهير بقوله من الطويل (بن أبي سلمى،١٩٨٠م، ص٣٦) :

إِذَا لَقِحَـتْ حَـرْبٌ عَـوَانٌ مُضِـرَّةٌ ضَـرُوسٌ تُهِـرُّ النَّـاسَ أَنْيَابُهَـا عُصُـلُ
فَتَضْـرَعِيَّةٌ أَو أُخْتَهَـا مُضَـرِيَّةٌ يُحَـرِّقُ فِـي حَافَاتِهَـا الحَطَبُ الجَـزْلُ

يصور زهير الحرب ويخلع عليها الصفات الأنثوية فهي تلقح كما تلقح الأنثى ، ولم يكتف بهذا الوصف بل أضفى لها صفات حيوانية بأن لها أنياب عضوض أكول (ابن منظور ،١٩٩٩م، ٨ / ٥١) فالحيوانات المفترسة هي التي تكون لها الأنياب ، وهي شديدة ملتوية وفيها صلابة (ابن منظور،١٩٩٩ م،٢٤٣/٩) على الرغم من تصويرها بهذا القدر من الفتك والرعب فإنه لا يقدر عليها أو مواجهتها إلا البطل الشجاع .

وقد أشار نقادنا القدماء إلى أن الشعر إنما يكثر بالحروب لأنها تفسح أمامهم أسباب القول ودوافع النظم (الجمحي، ١٩٨٠ م، ٢٥٩/١) ، ومزج الكثير الشعراء من المفاهيم بالحرب فهي كما ذكرنا في الأبيات السابقة شبهوها بالحيوان المفترس الذي له أنياب ، فقد استثمر الشعراء العديد من المظاهر من محيطهم فشبهها زهير بالرحى في قوله من الطويل (بن أبي سلمى، ١٩٨٠م، ص ١٨ ، ١٩) :

وَمَـا الحَـرْبُ إِلَّا مَـا عَلِمْتُـمْ وَذُقْتُـمُ وَمَـا هُـوَ عَنْهَـا بِالحَـدِيْثِ المُـرَجَّمِ
مَتَـى تَبْعَثُوهَـا تَبْعَثُوهَـا ذَمِيْمَـةً وَتَلْقَـحْ كِشَافَـاً ثُـمَّ تُنْتَـجْ فَتُتْئِـمِ
فَتَعْـرُكُكُمْ عَـرْكَ الرَّحَـى بِثِفَـالِهَا فَتُنْتِـجُ لَكُـمْ غِلْمَـانَ أَشْـأَمَ كُلِّهُـمْ
وَتَضْـرَ إِذَا ضَرَيْتُمُوهَـا فَتَضْـرَمِ كَـأَحْمَرِ عَـادٍ ثُـمَّ تُرْضِـعْ فَتَفْطِـمِ

يصور زهير بفلسفته الحكيمة وعقليته النيّرة صورة الحرب بالرحى ؛ كون الحروب تطحنهم كما تطحن الرحى حبات القمح ، فتصيره دقيقاً فهي مهلكة ذميمة لا تجلب إلا الخسائر والنكبات والويلات ، والشاعر أوجد تضاداً فنياً في تصوير الحرب بين الدعوة إليها كونها تعبر عن الالتزام بالعادات التي تملّكت فكر الجاهلي وأنها من مسوغات حياته التي يزاولها بلا تردد ، وبين صورة سلبية تأخذ على عاتقها فناء وهلاك البشر ؛ لأنها ذميمة مشؤمة وفيها دفع ديات وزهق للأرواح ومحن وبلاء مستطير .

ويستطرد زهير في حديثه عن الحرب وبشاعتها ، لما لها من أسى ، فضلاً عن ارتباطها بالبيئة البدوية (بن أبي سلمى، ١٩٨٠م، ص٢٣) :

فَقَضَوا مَنَايَا بَيْنَهُم ثُم أَصْدَرُوا ... إِلَى كَلأٍ مُسْتَوبِلٍ مُتَوَخِمِ
رَعَوا مَا رَعَوا مِنْ ظَمَئِهِم ثُمَ أَوْرَدُوا ... غِمَاراً تفرَى بِالسِّلاحِ وَبِالدَّمِ

تتشكل صورة أقرب للواقعية منها إلى الخيال ، فجاءت تتحدث عن واقع يعيشه البدوي ، وأنهم أوقعوا أنفسهم بدائرة الحرب ، والتي كان مآلها وخيماً فاسداً ، هذه الصورة نبعت من فكر ملهم وعبقرية فذة استطاعت أن تجعل المتخيل والمصور حياة واقعية لا عسر فيها ولا غرابة ثقيلة ، متلائمة مع طابع البداوة .

وما انفك الشعراء من ذكر الناقة في أبيات قصائدهم ، وبما أن الحديث عن المعارك والحروب ضمن دائرة الفهم البدوي ، فقد آثروا إبعاد الناقة عن تلك الصورة ، إذ جعلوا توظيفها لحمل عدتهم وأسلحتهم ، ومن جانب آخر فقد ارتبطت الناقة ببيئة الصحراء التي كانت تمثل رمز الصداقة والألفة في الحل والترحال ، صبور على ما يلاقيه الرجل من مشقة ومسرة ، كما أنها مصدر طعامه وشرابه وكسائه (القيسي، ١٩٧٠م، ص٩٧ ، والحوفي،٧٩ص) ، وزهير يصور الناقة بلوحة غنائية صور فيها جوانب الحياة بقوله من الكامل(بن أبي سلمى، ١٩٨٠م، ص١٩،١٨) :

هَل تُبْلِغِنيهَا عَلَى شَحْطِ النَّوَى ... حَرْفٌ عُذَافِرَةٌ تَجِدُّ بِرَاكِبِ
أُجُدٌ سَرَى فِيْهَا وَظَاهَر نِيَّهَا ... مِنْهَا إِذَا احْتَضَرَ الخُطُوبُ مُعوَّلٌ
وَكَأَنَّهَا إِذْ قُرِّبَتْ لِقُتُودِهَا ... عَنْسٌ تَخُبُّ بِيَ الهَجِيْرَ وَتَنْعَبُ
مَرْعَىً لَهَا أَنِقٌ بِفَيْدٍ مُعْشِبُ ... وَكَأَنَّ حَارِكَهَا كَثِيبٌ أَحْدَبُ
وَقِرىً لِحَاضِرَةِ الهُمُومِ وَمَهْرَبُ ... فَدَنٌ تَطُوفُ بِهِ البُنَاةُ مُبَوَّبُ

فحياة العربي أبانت أنها كانت في كثير من الأحيان عرضة للمشاحنات والحروب ، ولم ينج منها الكثير ، فالغلبة منهم ممن اصطلى بنار الحرب ، فالصحراء تلك المساحات الشاسعة التي عاش فيها الحيوان كيفما شاء ، ويسبح فيها الطائر كما أراد ، كل شيء فيها حر طليق ، فكيف للبدوي أن يكون أسيراً مقيداً ، بل كانت روحه حرة أبية ترفض الرضوخ والكسل والعبودية ، ويرى أن الموت بعز أقدس من الحياة بذل ، فقد تهيأ للعربي قانعة أن البقاء يأتي بقوة السلاح وجلادة القلب ، وفي ذلك يقول زهير بن أبي سلمى من الطويل (بن أبي سلمى، ١٩٨٠م، ص٢٧) :

وَمَن لا يَذُد عَنْ حَوْضِهِ بِسِلاحِهِ ... وَمَن هَابَ أَسْبَابَ المَنِيَّةِ يَلْقَهَا
يُهَدَم وَمَن لا يَظْلِمِ النَّاسَ يُظْلَمِ ... وَلَو رَامَ أَسْبَابَ السَّمَاءَ بِسُلَّمِ

فالشاعر يرى من الضروريات الواجبة على الرجل أن يتسلح بسلاح القوة والإقدام في مجابهة الخصوم ؛ لأجل حماية قومه وأن من لا يظلم الناس رأوه مهيناً ضعيفاً واستبدوا عليه وظلموه وتطاولوا عليه ، وإن الخوف من الموت لا يدفعه عنه فهو ملاقيه ، فالكل زائل لا محالة ، حتى وإن صعد إلى السماء ظناً منه في اتقاء الموت ، ولذلك تغنت شعراء العرب بمدح القوي الذي لا يبالي سوح الوغى فيقول زهير من الطويل (بن أبي سلمى، ١٩٨٠م، ص٢١) :

جَرِيءٍ مَتَى يُظلَمْ يُعَاقَبْ بِظُلْمِهِ ... سَرِيْعَاً وَإِلَّا يُبْدَ بالظُّلْمِ يَظْلِمِ

فكان الجاهلي راسخ الفكرة بأن يكون ظالماً جريئاً لا مظلوماً مستكيناً مبتذلاً ؛ لكيلا يهان مسلوب الإرادة ، وأن يصبح عرضة للظلم والأذى والاعتداء عليه .

ومن المظاهر البدوية الأخرى التي أخذت منحى آخر بعيداً عن مفهوم الحروب وقرع طبولها وصليل السيوف وطعن الرماح ووقع النبال ، ألا وهو صورة الوشم والرسوم التي اختطت لها سبيلاً في اثير مفهوم الجاهلي الذي عبر عن ظاهرة جمال وتزيين عمدت إليها النساء لإظهار مفاتنها وموطن أسرار الجمال ، وكثيراً ما كان الشعراء يتغنون بوصف الأعضاء المستورة للنساء ولا يجدون في ذلك حرجاً ، ولعل طبيعة حياتهم البسيطة الصريحة والواضحة التي لا تعرف المواربة والتغطية والحياء الكاذب المصنوع ، فجاءت الصور رابطة بين تلك الوشوم وبقايا الديار ، فكان ذلك له أثره في رؤية الشاعر عن تلك الصور (الجبوري،١٩٨٦م، ص٢٨٧) ، وبذائقته الفنية استطاع زهير أن ينقل صورة للديار الخالية مشبهاً رسومها الباقية بصورة للوشم فيقول من الكامل (بن أبي سلمى،١٩٨٠م، ص٢٧٢):

هَـــاجَ الفُـــؤَادَ مَعَـــارِفُ الرَّسْـــمِ قَفْـــرٌ بِـــذِي الهَضَبَـــاتِ كَالوَشْـــمِ
تَعْتَـــادُهُ عَيْـــنٌ مُلَمَّعَـــةٌ تُزْجِـــي جَآذِرَهَـــا مَـــعَ الأُدْمِ
فِـــي القَفْـــرِ يَعْطِفُهَـــا أَقَـــبُّ تَـــرَى نَسَفًـــا بِلِيتَيْـــهِ مِـــنَ الكَـــدْمِ

فبقايا الديار ومعالمها التي مازالت آثارها جالبة للحزن عليها ، ومدعاة لإثارة الحنين لأهلها ، فكأننا به وهو يريد أن يرسل رسالة لنا بجعل بقايا الديار بالزينة المتمثلة بالوشم ، لأن الاثنين محببان للشاعر رسوم الديار والوشم ، وهذه من مظاهر البداوة التي اندرجت في مفهوم الجاهلي.

ثم أن شاعرنا أطرق القول في تصويره لمعصم اليد المزينة بالوشم ، حينما وقف أمام منازل أم أوفى يتساءل بمرارة وحزن عن تلك الديار التي صمتت عن الجواب فيقول من الطويل (بن أبي سلمى،١٩٨٠م، ص٩) :

أَمِـــنْ أُمِّ أَوْفَـــى دِمْنَـــةٌ لَـــمْ تُكَلَّـــمِ بِحَـــوْمَانَـــةِ الـــدُّرَّاجِ فَالمُتَثَلِّـــمِ
وَدَارٌ لَهَـــا بِالرَّقْمَتَيْـــنِ كَأَنَّهَـــا مَرَاجِـــعُ وَشْـــمٍ فِـــي نَوَاشِـــرِ مِعْصَـــمِ

هذه الديار التي بقي منها رسوماً ، واختفت معالمها وأطبق الصمت عليها فلا يرتجى منها جواب.

ومن التراث الذي يحمل معه صورة عن الحياة في البادية هو إغاثة الملهوف ، والملهوف في مفهومنا هو الذي حلت به مصيبة فيرجو أن يقوم أحد بإعانته ومد يد العون له ، وجاء في الحديث الشريف « اللهم أغثنا ،...، وفي الواقع بلية : أغثني أي فرّج عني ، ويقال : استغثت فلاناً ، فما كان لي عنده مغوثة ، ولا غوث أي إغاثة « (ابن منظور،١٩٩٩م،١٠/١٣٩)« واستغاث الرجل ،...، الاستغاثة : طلب الغوث ، وعند النحاة : نداء من يخلّص من شدة أو يعين على دفع بلية « (مصطفى ،١/٦٦٥) وبما أن حياة االعرب كانت عرضة للتقلبات والمصاعب الطبيعية أو المصائب الدنيوية كالغزو والإغارة عليهم والسلب والنهب ، فكانت رؤيتهم لتلك الفعلة من الخصال الحميدة التي يتغنى بها الشعراء وعدّها من المناقب الفضيلة كقول زهير في بيان صفات الذين لا يتوانون عن إغاثة الملهوف وتقديم العون لمن طلب الاستعانة بهم ، فيقول من الطويل : (بن أبي سلمى،١٩٨٠م، ص٣٤) :

بِـــلَادٌ بِهَـــا نَادَمْتُهُـــمْ وَأَلِفْتُهُـــمْ طِـــوَالَ الرِّمَـــاحِ لا ضِعَـــافٌ وَلَا عُـــزْلُ
إِذَا فَزِعُـــوا طَـــارُوا إِلَـــى مُسْتَغِيثِهِـــمْ فَـــإِنْ تَقْوِيَـــا مِنْهُـــمُ فَإِنَّهُمَـــا بَسْـــلُ

هكذا هم الذين يطلب منهم العون يطيرون بلا هوادة لتلبية النداء وهم (طوال الرماح) أي أنهم ذوو قوة وبأس

واستعمل الرماح الطوال كناية عن الذي يتصف بالقوة والشدَّة فقلما يستعمله غير الذي يتصف بهذه الصفة . لكننا نجده في موضع آخر يدعوا بالثبور على قوم لم يقوموا بحماية رجل التجأ إليهم وقتلوه برجل منهم فلحقهم العار لذلك ، فيقول من الوافر : (بن أبي سلمى، ١٩٨٠م، ص١٤٢، ١٤١) :

سَتَأتِـــي آلَ حِصْـــنٍ حَيْـثُ كَانُـــوا مِـــــنَ المَثُـــلَاتِ بَاقِيَـــــةٌ ثَنَـــاءُ
فَلَـــــمْ أَرَ مَعْشَـــــــرَاً هَدِيَّـــــاً وَلَـــــم أَرَ جَـــارَ بَيْـــتٍ يُسْتَبَـــاءُ

كانت تلك صورة سلبية لمن طلب الإجارة فلم يجره أولئك القوم بل أقدموا على فعل دنيء بقتله وهذا ما تعيبه العرب ، وتأنف عن فعله خيار الأنفس العربية ، فالعربي يفخر بما يرفع الشأن ويبحث عن تلك الصور النبيلة ألا وهو يقدم العون في الملمات ويذود عمن دخل في حمايته ويطلب إجارته فتلك الخلال الحميدة التي يتجمل بها البدوي وتتزين بها أخلاقه .

الخاتمة :

إن الحديث عن الأدب الجاهلي ذو شجون ، يأسرنا معه إعجاباً وتذوقاً لبلاغته ، وتنوعاته الفنية ، ومهما سالت مداد الباحثين كتابة عنه لنجد أن البحث فيه ينمو ويزدان رونقاً ، وكان مسيرة البحث مع شاعر من حكماء الشعر ومتقدميه وهو زهير بن أبي سلمى ، ومن خلال الاطلاع على نماذج فنية من شعره ، فيما بنيت عليه الدراسة من النظر في المظاهر البدوية في شعره ، استخلص البحث بعض النتائج ومنها :

أن البدوي إنسان عاش في تلك البقعة وتجلبب بمظاهرها ، وأخذ منها سماتها فكان إنساناً يحمل طابعاً أخلاقياً ورزانة وبساطة ، وفي الوقت ذاته فهو صلد جلد يجابه أقسى الظروف بكل قوة وبسالة ، فكانت الأطلال ورسومها التي عفت منبعاً مثيراً لدافع القول عند الشاعر ، فوقوفه عليها لم يكن وقوفاً تقليدياً بل هو إحساس ارتباط وصدق تجربة ، بل يتعدى ذلك إلى فكرة الحياة بكل مفاصلها من ديمومة وبقاء ، أو رحيل وفناء .

ثم أن هذا العربي الذي عاش في أرض متذبذبة العطاء ، ما كان في يومها خير ، يصبح في غدها قاحل جدب ، قاسية تلك الظروف ، إلا انها أنجبت في طبع العربي السخاء والبذل والمعروف ، ومد يد العون ، فأرسى صورة ناطقة عن فضيلة الخير النابعة من شدة المحيط ، حتى النار كان لها حظ مما أبدع فصورها في جانب الخير والكرم ، كما انه هذا البدوي يغيث الملهوف ويجيره في مصابه ويقدم له المساعدة بحلاوة الروح ، وطيب الأصل .

ولم يترك الشاعر كل أركان حياته إلا وكان لها نصيب مما ذكر فكان للناقة رفيقة السفر وصديقته ، يتعلم منها الصبر والتحمل والبذل والعطاء .

فكانت تلك القيم والمظاهر البدوية التي وجدها البحث في مسايرة شاعر الحكمة زهير بن أبي سلمى الذي يمثل مرحلة فنية على جانب كبير من الأهمية الشعرية في أدبنا العربي .

المصادر والمراجع :

– إبراهيم . د . عبد الحميد . (١٩٨٩م). قاموس الألوان عند العرب .(د . ط) الهيأة المصرية العامة للكتاب .
– ابن قتيبة : ابو عبد الله محمد بن مسلم : قدم له : الشيخ محمد تميم ، راجعه : الشيخ محمد عبد المنعم العريان ، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م ، الشعر والشعراء ، ط٣ ، دار إحياء العلوم ، بيروت – لبنان .
– ابن منظور (٦٣٠ – ٧١١ هـ) ، اعتنى بتصحيحها أمين محمد عبد الوهاب و محمد الصادق العبيدي ، لسان العرب ، ط ٣ ، (١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م) دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، ج ٨ ، ج ٩ ، ج١٠.
– الاصبهاني ، لأبي القاسم حسين بن محمد الراغب ، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ، (د.ط) (د.ت) ، منشورات

دار مكتبة الحياة ، بيروت – لبنان ، ج٤ .
– الأعلم الشنتمري : تحقيق : د . فخر الدين قباوة ، شعر زهير بن أبي سلمى ، ط ٣ ، ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠ م ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت – لبنان .
– الأندلسي : الفقيه أحمد بن محمد بن عبد ربه (ت ٣٢٨ هـ) تحقيق : د . عبد المجيد الترحيني ، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٣م ، العقد الفريد ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ج٣ .
– البياتي : عادل جاسم ، الشعر في حرب داحس والغبراء ، ١٩٧٢م ، مطبعة الآداب في النجف الأشرف .
– البيهقي : أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي (ت ٧٤٥ هـ) ، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م، السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، ج ١٠ .
– الثعالبي : أبو منصور (ت ٤٢٩ هـ) ، قرأه وقدم له وعلق عليه خالد فهمي ، تصدير : د . رمضان عبد التواب ، فقه اللغة وأسرار العربية ، ط ١ ، (١٤١ هـ – ١٩٩٨ م) مكتبة الخانجي ، القاهرة – مصر .
– الجادر.د. محمود عبد الله . (١٩٧٩م). شعر أوس بن حجر ورواته الجاهليين .(د.ط). دار الرسالة للطباعة . بغداد . العراق .
– الجبوري ، د . يحيى..الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه.(ط.٥) (١٤٠٧هـ–١٩٨٦م)، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع. بيروت– لبنان .
– الجمحي : محمد بن سلام (١٣٩ هـ– ٢٣١ هـ) : قرأه وشرحه : أبو فهر محمود محمد شاكر ، طبقات فحول الشعراء ، مطبعة المدني ، المؤسسة السعودية بمصر .
– الحمد، د. محمد بن إبراهيم ، نوازل الضيافة ، (ط١) ،(١٤٣٩هـ–٢٠١٨م) ، دار الحضارة للنشر والتوزيع ، الرياض .
– الحوفي ، د . احمد محمد ، أغاني الطبيعة في الشعر الجاهلي ، (د . ط) (د . ت) مكتبة نهضة مصر بالفجالة ، القاهرة – مصر .
– الحوفي ، د . احمد محمد ، الحياة العربية من الشعر الجاهلي ، (ط ٢) ،(د . ت) ، مكتبة نهضة مصر بالفجالة ، القاهرة – مصر .
– خفاجي : د . محمد عبد المنعم ، الحياة الأدبية في العصر الجاهلي ، ط ١ ، (١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م) ، دار الجيل ، بيروت – لبنان .
– د . حسين علي محمد ، ١٤٣٢ هـ – ٢٠١١ م ، التحرير الأدبي دراسات نظرية ونماذج تطبيقية ، ط ٧ ، العبيكان ، الرياض – المملكة العربية السعودية .
– الزيات : أحمد حسن ، (د . ت) تاريخ الأدب العربي ، (د . ط) ، دار نهضة مصر ، الفجالة – القاهرة – مصر .
– زيدان : جرجي ، (د . ت) راجعها وعلق عليها شوقي ضيف ، تاريخ آداب اللغة العربية ، (د . ط) ، دار الهلال ، ج ١ .
– العسكري ، لأبي هلال ، تحقيق د. محمد السيد الوكيل ، الأوائل ، (ط١) (١٤٠٨هـ–١٩٨٧م) ، دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية ، القاهرة – مصر .
– فيصل. شكري . (١٩٥٩م). تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام من امرئ القيس إلى ابن أبي ربيعة . (ط ٥) . دار العلم للملايين .بيروت–لبنان.
– القيرواني الأزدي : أبي علي بن الحسن بن رشيق (٣٩٠ – ٤٥٦ هـ) ، حققه وفصله علق حواشيه محمد محي الدين عبد الحميد ، العمدة في محاسن الشعر ، وآدابه ، ونقده، ط ٥ ، (١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م) دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة ، ج١ .
– القيسي ، د . نوري حمودي : الطبيعة في الشعر الجاهلي ، ط ١ ، (١٣٩٠ هـ – ١٩٧٠م) ، دار الارشاد للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان .
– مجموعة مؤلفين ، المعجم الوسيط (ط٢) ، (د. ت) ، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع ، استانبول – تركيا .
– المرزوقي : ابو علي احمد بن محمد بن الحسن (٤٢١ هـ) ، نشره : أحمد أمين , عبد السلام هارون ، شرح ديوان الحماسة ، ط ٢ ، (١٣٨٧ هـ – ١٩٦٧م) ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة – مصر .
– نعناع : د . محمد فؤاد ، الجود والبخل في الشعر الجاهلي ، ط ١ ، (١٩٩٤م) ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، دمشق – سوريا .

Website address
White Dome Magazine
Republic of Iraq
Baghdad / Bab Al-Muadham
Opposite the Ministry of Health
Department of Research and Studies
Communications
managing editor
07739183761
P.O. Box: 33001
International standard number
ISSN3005_5830
Deposit number
In the House of Books and Documents (1127)
For the year 2023
e-mail
Email
off reserch@sed.gov.iq
hus65in@gmail.com

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٧)
السنة الثالثة ذو القعدة ١٤٤٦هـ آيار ٢٠٢٥م

General supervision the professor
Alaa Abdul Hussein Al-Qassam
Director General of the
Research and Studies Department editor
a . Dr . Sami Hammoud Haj Jassim
managing editor
Hussein Ali Muhammad Hassan Al-Hassani
Editorial staff
Mr. Dr. Ali Attia Sharqi Al-Kaabi
Mr. Dr. Ali Abdul Kanno
Mother. Dr . Muslim Hussein Attia
Mother. Dr . Amer Dahi Salman
a. M . Dr. Arkan Rahim Jabr
a. M . Dr . Ahmed Abdel Khudair
a. M . Dr . Aqeel Abbas Al-Raikan
M . Dr . Aqeel Rahim Al-Saadi
M. Dr.. Nawzad Safarbakhsh
M. Dr . Tariq Odeh Mary
Editorial staff from outside Iraq
a . Dr . Maha, good for you Nasser
Lebanese University / Lebanon
a . Dr . Muhammad Khaqani
Isfahan University / Iran
a . Dr . Khawla Khamri
Mohamed Al Sharif University / Algeria
a . Dr . Nour al-Din Abu Lihia
Batna University / Faculty of Islamic Sciences / Algeria
Proofreading
a . M . Dr. Ali Abdel Wahab Abbas
Translation
Ali Kazem Chehayeb